ميلاد لبنان

بقلم عبدالله العلايلي

هذا الصراع الاقدس ، الذي اطلق الشعب اللبناني من وعيه الحر اعصاره ، مضى هادرا يزرع السفوح والروابي بالبطولات ويحمل الى الدنيا — ما اتسعت الدنيا — عبير الشهداء ، وتهاويل الكبرياء ، والتلاوين العبقرية للارادة المتحدية المنتصرة . ثم ينعطف انعطاف قوس على الدهر ، قاعدة له على الآفاق ، وقاعدة له على الخلد .

وكان أغر ، انبلج فجره في ليلنا الدامس يدفق بالاضواء فانكفأت هنالك شمطاء العهد بومة شوهاء ، ترهب النور ويعشي مقلتيها الضياء .

وفخر هذا اليوم البطولي ، انه جاء تصحيحا ليوم بطولي قبله ، فذاك اشار الى ان لبنان ذو وجه عربي ، وهذا اعلن في سمع الدنيا : ان لبنان ذو حقيقة عربية . على ان ذاك حرر لبنان من مستعمر على نحو ولون ، وهذا حرره من الاستعمار على كل نحو وكل لون .

وهو — وان اقترن هونا ما بتنازع الفرقاء — كان لخيرهم جميعا ، وكسبا لهم جميعا . فاميركا استقلت من مستعمر بعد تضحيات حمراء مثلما استقللنا ، ولكنها لم تولد حقا الا بعد موران عاصف اتصل هبوبه بين شمال وجنوب ، واعني بعد مخاض لعله كان شاقا عسيرا ، ولعله كان داميا رهيبا، ومع ذلك جاء معقد الخير كله ، لان في ساحته ولدت الوحدة الاميركية مولد السبيكة من البوتقة .

ولبنان ، وقد استبد به مثل هذا المخاض ، كان بشيرا بميلاده الحق ، ميلاد وحدته الوطنية دون نزوات شمال وجنوب ، واعني دون نزوات طائفية القته في التيه عن حقيقته وطبيعة وجوده ، زمنا طويلا .

ولقد سجل هذا اليوم فخرا اخر : وهو انه على صعيد لبنان جرت المعركة الحاسمة الفاصلة ، للقومية العربية المنطلقة جميعا الى حيث تتبوأ مقعدها لتملي التاريخ من جديد، واعني الى غدها الافضل الذي ترى فيه وجه امسها الافضل ، كلاهما كسب حضاري ، واثراء انساني ، وتنضير يمسح وجه الارض بالجمالات .

وفوق ذلك كله كان ليوم لبنان ، فضل هذا الظفر الجديد الذي جسد القومية العربية تجسيدا دوليا ، وكرسها تكريس الواقع التاريخي ، في اكبر أندية الحق الدولي ، كما هتك الاقنعة والحجب عن بادرة العدوان الاميركي ، وانها لم تصب المثل الديمقراطية الرفيعة في الصميم فحسب ، بل اصابت اول ما اصابت المثل الاميركية التي تبجح بها في الدنيا .

حقا ، لقد انتحرت اميركا هنا على عتبة عدوانها .. اجل لقد انتحرت بصغار فاجع ، وداست باستخفاف البطولات التي شاءت ان تدفعها يوما الى قافلة الاحرار ، وركب الساعين الى الانعتاق والانتصار ، ومشت على رفاة اقداسها في الحرية مشية الاستهتار وسعت بالحديد والنار ، لتوطيد دعائم الاستعمار ، وهكذا مسخت معنى الحرية في تمثال حريتها ، واستبدلت له باكليل الغار ، اكليل العار ..

فيا رجل المتاريس : الذي لوحتك الشمس ، انما هي لثماتها على جبينك،ليظل جبينك مثل جبينها ينابيع اضواء.

ولسوف يذكر لبنان ، لبنان كله ، ان من بين انامله العشر تفجر خصب قلبه .

ولسوف يذكر ايضا : انك انت الذي صمدت في الدروب امام المخاوف لم تكن المروع ، وانما شققت بمنكبيك الدروب بين يديه الى مجده .. وكان عطاؤك سمحا وكان بذلك كريما « والجود بالنفس يعني غاية الجود » .

وقسما بتراب متاريسك ، هذه الشائكة ، ان لبنان في غده القريب سينحني في تذكاراته الكبرى امامها رمزا من رموز المحبة ، لانها كانت رمزا من رموز الخلاص .

عبدالله العلايلي